

العلاقة بين البحوث الأدبية واللغوية والبحوث الاجتماعية

The relationship between literary and linguistic research and social research

د-عريق لطيفة*1

1جامعة الوادي، (الجزائر)، latifa.arigue@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/30

تاريخ المراجعة: 2022/03/07

تاريخ الإيداع: 2022/02/15

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية لمحاولة التعرف عن العلاقة بين البحوث الأدبية واللغوية والبحوث الاجتماعية فتم التطرق إلى كل من مفهوم البحث وماهية البحث الأدبي واللغوي، وماهية البحث الاجتماعي وفي الأخير العلاقة بين البحث الأدبي واللغوي والبحث الاجتماعي.

وقد تبين أن علاقة البحوث الأدبية بالبحوث الاجتماعية قديمة قدم الحضارات البشرية، فقد استمد الشعر موضوعاته من حياة الأفراد اليومية خاصة وقت الحروب والأزمات والكوارث، كما استفادت الدراسات الاجتماعية من إسهامات الباحثين في مجال الأدب واللغة فقد درس اللغويون اللغة من خلال الحياة الاجتماعية وهذا ما أثرى بدوره مجال الدراسات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: البحث- البحث الأدبي- البحث اللغوي- البحث الاجتماعي- علم اللغة الاجتماعي.

Abstract:

The current study aims to try to identify the relationship between literary and linguistic research and social research, so both the concept of research and the nature of literary and linguistic research have been addressed, The nature of social research and, finally, the relationship between literary and linguistic research and social research.

It has been shown that the relationship of literary research with social research is as old as human civilizations, Poetry derived its themes from the daily lives of individuals, especially during wars, crises and disasters, As social studies benefited from the contributions of researchers in the field of literature and language, linguists studied language through social life, and this in turn enriched the field of social studies.

Key words :Search- Literary research- Linguistic search- social search- Sociolinguistics.

* المؤلف المراسل .

تقديم:

تتداخل الكثير من البحوث والدراسات في مجالات بحث عديدة نظرا لأن الباحثين والدارسين لا يستطيع عزل مختلف الظواهر المدروسة عن بعضها البعض بسبب تشابكها وتداخلها فكل منه يحاول ضبط مجال دراسته ورسمها وفق حدود تخصصه قدر المستطاع.

ومن البحوث والدراسات التي وجد كثير من الباحثين والعلماء أنهم قدموا الكثير من الاسهامات في تطوير وإثراء بحوث أخرى بعيدة عن تخصصاتهم دون قصد وهي البحوث الأدبية واللغوية وكذا البحوث الاجتماعية، فكثيرا ما نجد باحث اجتماعي له اسهامات عديدة في مجال الأدب واللغة والعكس كذلك.

فالإنسان لا يقدر عزل نفسه عن الآخرين فهو يعيش في مجتمع تسوده ثقافة تعزز من انتمائه لذلك المجتمع كما يتكلم لغة ذلك المجتمع حتى يستطيع أن يحفظ مكانه فيه ويتعايش مع المحيطين به، لذلك فإن كل من الباحثين في مجال الأدب واللغة وعلم الاجتماع تتداخل موضوعات دراستهم فلا يمكن دراسة الأدب واللغة بعيدا عن المجتمع، وبدورها تعد اللغة أحد المواضيع الهامة في مجال علم الاجتماع.

ومنه سنحاول من خلال هذه الورقة توضيح العلاقة بين كل من البحوث الأدبية واللغوية والبحوث الاجتماعية.

أولا: مفهوم البحث:

البحث في اللغة: التفتيش، والتدقيق، والاستخبار، وبحث في الشئ: سأل عنه مستخيرا، وبحث عن الشئ: استقصاه، وفتش عن حبات القمح بين التراب¹.

والبحث لغة مصدر الفعل الماضي (بحث) ومعناه اكتشف، سأل، تتبع، تحرى، تقصى، حاول، طلب².

أما البحث في الاصطلاح العلمي: يعرف بأنه بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به، والجمع: بحوث، وأبحاث³.

عمل منظم (systematic)، وفي حقل علمي أو معرفي معين، يهدف إلى اكتشاف الحقائق (factfinding)، والمبادئ، أو لم تفاريقها، وترتيبها، أو ضبط نقصها (discipline)، وتفسيرها تفسيراً عقلياً (logicalreasoning)، وإزالة غموضها، وجعلها أكثر وضوحاً وبيانياً، وبذلك يمكن التثبت من وجودها، وتحديد سماتها، وأسبابها، والحكم عليها، وبيان أسبابها والعوامل التي أدت إلى وجودها وأوجه العلاقات التي تربطها مع غيرها من الظواهر والقوانين العلمية، أو المعرفية، أو الثقافية، أو الاجتماعية السائدة⁴.

ويعرف البحث بأنه: يراد بالبحث ما يشمل كل إنتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم، أو فكرة من أفكاره، أو مشكلة من مشكلاته، سواء كان هذا الإنتاج:

-مقالة مطولة واسعة نطلق عليها كتيباً، وكان القدماء يطلقون عليها اسم رسالة أو محاضرة.

-أو كتاباً مختلف الحجم، وغالبا ما يبدأ الكتاب بصفحات تقارب المائة، وتزداد صفحاته حتى تبلغ المئات، فإن زادت زيادة مسرفة قسم الكتاب أجزاء، حسب موضوعاته وأبوابه الكبرى، والكتاب يختلف تقسيماته اختلافاً واضحاً:

ف فريق من المؤلفين يقسمونه إلى فصول، ويخصصون كل فصل ببحث مسألة من المسائل، ويطلقون على الفصول اسم أبواب، وفريق يقسمونه أولاً إلى أبواب، ويجعلون كل باب خاصاً ببحث مسألة رئيسية، أي عنصر أساسي من مسائل أو عناصر الكتاب، ثم يقسمون ثانياً كل باب إلى فصول، ويجعلون كل فصل خاصاً ببحث مسألة جزئية من مسائل الباب.

-رسالة جامعية، يتقدم بها الباحث إلى جامعة من الجامعات لنيل درجة علمية منها، أعلى من الدرجة العلمية العالية، وهذه الدرجة أما درجة الماجستير، وأما درجة الدكتوراه أو الأستاذية... والأولى مرحلة وسطى بين الدراسات العالية ودراسات الأستاذية، والثانية يزداد صاحبها مراجعة وتنقيها وفقها بالموضوع الذي يكتب فيه، وتخصصاً في هذا الموضوع حتى يصبح مرجعاً فيه، وحجة في دراساته وبحوثه.

ويقصر بعض العلماء البحث على ما هو دون الرسالة والكتاب من المقالات العلمية أو الأدبية المطولة أو الموجزة... فلا يطلقون على الكتاب ولا على الرسالة الجامعية اسم بحث⁵.

ويعرف بأنه تقرير واف يقدمه باحث عن عمل تعهده، وأتمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة، منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة، مرتبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد⁶.

البحث هو مجموعة من المراحل والوسائل التي يستخدمها الباحث للوصول إلى حقيقة المستوى المعيشي والاجتماعي للحالة المراد بحثها⁷.

وتعرف كلمة البحث حينما تستخدم في الأغراض العلمية، على أنها المحاولة الدقيقة الناقدة من أجل التوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وغيرها⁸.

-والبحث قسمان: علمي وأدبي، فالبحث العلمي مجاله البحوث العلمية، والأدبي مجاله الدراسات الأدبية وما يتصل بها...⁹.

ثانياً: ماهية البحث الأدبي واللغوي:

1- مفهوم ومجالات البحث الأدبي:

البحث كما جاء تعريفه بالمعجم الوسيط بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به إلى غير ذلك من المعاني التي يدل عليها هذا الاصطلاح.

والأدب رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي، والأدبي أي المنسوب إلى الأدب.

فالبحث الأدبي عبارة عن دراسة جادة في موضوع محدد يصل الباحث لمجموعة من النتائج المفيدة خلاله¹⁰.

البحث الأدبي تتحدد حقيقته بكونه بحثاً مقيداً بأنه يتصل بدراسات الأدب اتصالاً وثيقاً ولا يخرج عنها، فقد يكون هذا البحث:

أ- في دراسة علم (شخصية) من أعلام الأدباء أو الشعراء القدامى أو المحدثين أو المعاصرين وبيان أثره في الأدب والشعر وذكر سمات وخصائص أدبه.

ب- أو في دراسة موضوع من موضوعات الأدب ونظرية من نظرياته كنظرية سبق الشعر للنثر التي أتى بها المستشرقون، وخالفوا بها المؤلف المعروف من سبق النثر للشعر، وسار على نمطهم فيها بعض أدبائنا المعاصرين من أمثال: طه حسين، وسهير القلماوي، وشوقي ضيف وسواهم. وكمثل دراسة نظرية انتقال الشعر الجاهلي

التي ذهب إليها كثير من المستشرقين وتابعهم فيها الدكتور طه حسين وتلاميذه، وكمثل دراسة موضوع المعلقات أو الطبع والصنعة، أو نشأة البديع في الأدب العربي، أو نشأة النثر الفني في الأدب العربي كذلك أو غير ذلك¹¹. إذن فكما هو معروف فإن مادة البحث الأدبي هي الأدب بفرعيه الشعر والنثر، وما امتد على كل نوع من غصون مختلفة¹².

ج-دراسة جنس أدبي من أجناس الأدب كدراسة فن المقالة في أدبنا العربي الحديث، أو فن الخطابة السياسية في عصر بني أمية، أو فن المسرحية في أدب توفيق الحكيم، أو فن السيرة عند طه حسين، أو فن القصة في أدب محمود تيمور، أو تطور النثر في الأدب المعاصر، أو ما شاكل ذلك.

د-دراسة مذهب من المذاهب الأدبية الكبرى مثل دراسة المذهب الكلاسيكي أو الرومانسي أو الرمزي في الشعر العربي الحديث مثلاً.

ه-دراسة مدرسة أدبية كاملة، كدراسة مدرسة (أبولو) في الشعر المعاصر، أو مدرسة شعراء الديون وهم عبد الرحمن شكري وعبد القادر المازني ومحمود عباس العقاد، أو دراسة المدرسة المهجرية في الأدب الحديث، وما شاكل ذلك.

و-دراسة عصر أدبي كامل كدراسة الأدب في العصر الجاهلي، أو الإسلامي أو العباسي أو العصر الحديث مثلاً.

ي-دراسات حركة النقد في الأدب العربي وتطورها في القديم أو الحديث مثلاً.

ن-دراسة ظاهرة من الظواهر الأدبية المتميزة، كدراسة المقدمة الطلية للقصيدة العربية ونشأتها وتطورها، وكدراسة الموشحة وظهورها في الشعر العربي، وهكذا.

ك-تحقيق نص أدبي قديم أو حديث، بعرض النص وشرحه وتحليله، وبيان أهميته وخصائصه، وقد يكون هذا النص رسالة أدبية أو فقرة طويلة في فكرة محددة، وقد يكون كتاباً صغيراً أو كبيراً من الكتب القديمة في أي بحث من بحوث الأدب، ويسمى حينئذ هذا الكتاب وما مثله (التراث)، ولتحقيق كتب التراث ونشرها أصول معروفة في الأوساط العلمية والأدبية¹³.

2- مفهوم ومادة البحث اللغوي:

من المعروف أن (اللغة) عبارة عن مجموعة من الأصوات التي تأتلف فيما بينها حتى تتكون الكلمات، ومن مجموع الكلمات تتكون الجمل التي لا بد أن تدل كل واحدة منها على معنى مفيد، ومن هنا نستطيع أن نقول إن عناصر أية لغة، في الأغلب الأعم، أربعة هي:

أ-الأصوات، وما يسمى بحروف الهجاء، أو حروف المباني، أي الحروف التي تبني منها الكلمات المفردة.

ب-الأبنية الصرفية أو الصيغ وتدخل في إطارها الكلمات أو المفردات التي هي عبارة عن مجموعة من الأسماء والأفعال والحروف.

ج-التراكيب النحوية، أو العبارات، أو الجمل، التي تنشأ من ضم بعض الكلمات فيما بينها، حتى يكون لدينا سياق نحوي أو لغوي ذو معنى مفيد.

د- المعنى أو الدلالة¹⁴.

والبحوث اللغوية نوع من البحوث موضوعاتها تتناول اللغة من حيث أصواتها أو أبنيتها أو أنماط الجملة أو الدلالة بمنهج من المناهج المعترف بها بين اللغويين¹⁵.
والمادة الأساسية لأي بحث لغوي هي (اللغة) التي عرفها ابن جني بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، واللغة لها جانبان، أو قسمان: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، وتدور معظم الدراسات اللغوية التي يجريها الباحثون حول اللغة المكتوبة، والمادة اللغوية التي يمكن إجراء بحوث ودراسات عليها، أو اتخاذها مادة للبحث والتحليل اللغوي تؤخذ من:

القرآن الكريم- الحديث الشريف- الخطب والرسائل النبوية- الشعر العربي في مختلف عصوره- النثر القديم والحديث¹⁶.

3- شروط البحث الأدبي واللغوي:

من الواجب عليك أن تعرف أن شروط البحث تتلخص في أمرين اثنين لا غير:
الأول: الأصالة، ونعني بها السلوك العلمي والأدبي لكل طرق البحث ووسائله ومنهجه لتحقيق الهدف والغاية منه، وللوصول بالموضوع إلى النهاية المطلوبة، في ذكاء شديد، ونظام كامل، ومنطق سليم، وأمانة علمية تامة.

والثاني: الجدة والابتكار بالكشف عن شيء جديد، سواء كانت هذه الجدة كاملة شاملة أم جدة على نحو ما من الأنحاء، وفي ناحية من نواحي الفكرة والموضوع¹⁷.

كذلك من شروط البحث الأدبي أن يتوفر على:

أ- العنوان الواضح والشامل للبحث إذ يعتبر الاختيار الموفق لعنوان البحث أو الرسالة أمر ضروري في تقديم صورة جيدة على البحث منذ بداية الاطلاع عليه أو مراجعته وقراءته وتقويمه من قبل الآخرين، وعموما ينبغي أن تتوفر ثلاث سمات أساسية في العنوان، وهي: الشمولية- الوضوح- الدلالة¹⁸.

ب- تحديد خطوات البحث وأهدافه وحدوده المطلوبة.

ت- الإلمام الكافي بموضوع البحث¹⁹.

ث- توفر الوقت الكافي لدى الباحث.

ج- الإسناد: يعني ينبغي أن يعتمد الباحث في كتابة بحثه على الدراسات والآراء الأصلية والمُسندة، وعليه أن يكون دقيقا في جمع معلوماته، والاطلاع على الآراء والأفكار المختلفة المطروحة في مجال بحثه²⁰.

ح- وضوح أسلوب تقرير البحث.

خ- الترابط بين أجزاء البحث²¹.

د- مدى الإسهام والإضافة إلى المعرفة في مجال تخصص الباحث.

ذ- توفر المصادر والمعلومات عن موضوع البحث.

ر- الموضوعية والابتعاد عن التحيز في الوصول إلى النتائج²².

4- أغراض البحث الأدبي واللغوي:

الغرض من البحث مختلف، ولكن جوهره هو إثارة مشكلة من مشكلات العلم وعرضها عرضاً جيداً وبيان وجه حل هذه المشكلة، ومن ثم قد يكون الغرض أو الهدف من البحث:

أ- إما عرض موضوع من موضوعات الدراسات القديمة وتحقيقه، والامام بكل ما كتب فيه من آراء وأفكار، وبيان رأي الباحث الخاص في ذلك.

ب- وإما الكتابة في فكرة جديدة لم يطرقها أحد من الدارسين من قبل، وإيضاح هذه الفكرة والتدليل عليها.

ج- وإما الكتابة حول منهج جديد من مناهج البحث يكشف عنه الباحث، ويبين أهميته وفائدته²³.

وذلك من أجل تعويد الباحث على النظام والدقة وتنمية الحس النقدي ومناقشة الآراء، وكذا تقوية الأساليب التركيبية في تجميع الأفكار ذات القيمة العلمية المتقاربة²⁴.

ثالثاً: ماهية البحوث الاجتماعية:

1- مفهوم البحث الاجتماعي:

يعرف بأنه سيرورة بحث واستقصاء دقيقة وهادفة تسعى إلى إنتاج معرفة جديدة، وهو الأداة العقلية التي تسمح للعلماء الاجتماعيين بدخول ميادين أو موضوعات ذات أهمية خاصة أو عامة غير معروفة لهم، بحثاً عن إجابات لتساؤلاتهم.

كما يعرف بأنه سيرورة استكشاف وتوسيع الآفاق في ما هو معروف، وزيادة الثقة، والتوصل إلى أفكار ونتائج جديدة في جميع نواحي الحياة²⁵.

ويعرف علماء الاجتماع البحث بأنه مجموع العمليات المتميزة والمتابعة والمتداخلة التي يقوم بها دارس أو أكثر في علم من العلوم بهدف جمع معلومات بشكل نظامي تنير ظاهرة ما قابلة للملاحظة بهدف شرحها وفهمها إنه محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك لكي تضاف إلى الإنتاج الحضاري الإنساني، والبحث الاجتماعي يتبع نفس المسار الفكري للعلوم الطبيعية، فعن طريق دراسة الظواهر، يجب أن يتبين القوانين التي تحكم الظاهرة وحوادثها دون التأثير بالأفكار الميتافيزيقية والشائعة، فعن طريق شرح الظاهرة تتضح العلاقات ما بين أسبابها ونتائجها²⁶.

2- أهداف وغايات البحث الاجتماعي:

يقصد (بالهدف) في اللغة ما يوجه إلى غرض محدد، وهو موضع محدد يصوب إليه الرماة جهودهم وملكاتهم ويركزون فقط على التوصل إليه وحده دون غيره²⁷.

وقد خدم البحث الاجتماعي عبر تاريخه أهدافاً متعددة، إذ اقتضى، عموماً، توليد المعرفة، لكنه اقتضى، بصورة أخص، تحديد ضروب الانتظام في العملية الاجتماعية، متوقفاً لها أن تساعدنا في فهم المشكلات الموجودة من حيث نوعها واتساعها وأسبابها وطرائق ضبطها ومعالجتها، لكن هذا ليس الهدف الوحيد للبحث الاجتماعي، فكما أن البحث متنوع ومتعدد من حيث المبادئ المنهجية والفلسفية التي تدفع نظريته وممارسته، فهو متنوع في أهدافه أيضاً، وبشكل عام، يسعى الباحثون إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ- استطلاع الواقع الاجتماعي لأجل ذاته أو لإجراء مزيد من البحوث في المستقبل وذلك عن طريق (تفسير الحياة الاجتماعية بتوفير معلومات موثوقة وصحيحة وموثقة جيدا-تقويم حالة القضايا الاجتماعية وآثارها في المجتمع- وضع توقعات للمستقبل- تطوير نظريات و/ أو اختيارها).

ب- فهم سلوك الإنسان وأفعاله.

ج- توفير قاعدة لنقد الواقع الاجتماعي (تحرير البشر- اقتراح حلول ممكنة للمشكلات الاجتماعية- تمكين البشر)²⁸.

وهناك من يرى من الباحثين والعلماء أن الهدف الأول للبحث الاجتماعي في اهتمام العالم بالوصف الدقيق للظواهر، ويتضمن ذلك التأكد من أن ظاهرة ما موجودة فعلا أم لا، وما مدى وجودها، وكيف يمكن تصنيفها ووصفها، وعموما تبدأ عملية المعرفة بالوصف، إذ أن وصف الظاهرة أبسط من تفسيرها، فمثلا يمكن ملاحظة الفروق في الاستجابة لمواقف الصراع بين أفراد مجموعة (في مستوى الوصف)، إلا أن تفسير هذه الفروق مسألة مختلفة تماما، ويجب هدف الوصف عن الأسئلة التي تبدأ بماذا؟ ما؟ أين؟ متى؟

والهدف الثاني والرئيس للعالم هو تفسير الظواهر، فالعالم قد يصف الظواهر التي يلاحظها وقد يصنفها ويحدد درجة وقوعها، ولكنه لا يقف عند ذلك بل يحاول أن يعلل حدوث الظواهر، وأن يحدد الأسباب أو العوامل السابقة التي أدت إلى وقوعها، ثم يصوغ تعليله في علاقة عامة، أو تعميم يحدد فيها العوامل المؤثرة والكيفية التي تعمل بها، فالتعميم نظام مفاهيمي يشكل هدفا رئيسيا من أهداف العلم²⁹.

أما غايات البحث الاجتماعي فتتمثل في:

أ- أهداف عامة: الفهم لأجل الفهم.

ب- أهداف نظرية: إثبات نظرية أو دحضها أو تعديلها أو اكتشافها.

ج- أهداف نفعية علمية: توفير حلول للمشكلات الاجتماعية.

د- أهداف سياسية: تطوير سياسة اجتماعية، وتقويم برامج وممارسات والنقد الاجتماعي والتغيير الاجتماعي وإعادة البناء والتحرير والتمكين³⁰.

3- دوافع البحث الاجتماعي:

تشير الأهداف عادة إلى المخرجات الفورية للبحث، مثل تحديد حجم مشكلة من المشكلات أو معرفة أسبابها، أما الدوافع فتشير إلى أهداف أعم وأبعد مدى قد تكون داخلية أو ذاتية (تتعلق بالاهتمامات الشخصية للباحث)، وقد تكون خارجية (تتعلق باهتمامات الجهة التي طلبت إجراء البحث)، لذلك قد تكون الدوافع مختلفة عن الأهداف، لكن هذا لا يعني بالضرورة ألا يكون هناك انسجام بين الأهداف والدوافع، إذ قد يقوم الباحثون بإجراء بحوث لا للتثبيت من حقائق فحسب، بل لتحسين نوعية الحياة الاجتماعية لمجموعة من الناس أيضا³¹.

فالوظيفة الأساسية للبحث هي تقديم المعرفة من أجل توافر ظروف أفضل لبقاء الإنسان وأمنه ورفاهيته، ولا يحتاج المرء أكثر من برهة تأمل فيما حوله من وسائل الرفاهية الحديثة ليشهد الآثار العلمية للبحث، وقد أصبح البحث مظهرا حضاريا هاما للأمم، تحاول أن تأخذ بتقنياته، وتوفر له وسائله وإمكاناته حتى تتمكن من التوصل إلى أفضل الحلول للمشاكل التي تواجهها³².

ومن دوافع البحث الاجتماعي:

أ- تعليمية: تعليم الجمهور وثقافته.

ب- سحرية: إضفاء صدقية على وجهات نظر الباحثين أو الممولين للبحث.

ت- شخصية: تحسين المستوى الأكاديمي للباحث.

ث- مؤسسية: زيادة عدد البحوث التي تصدر عن المؤسسة التي يعمل لها الباحث.

ج- سياسية: دعم الخطط والبرامج السياسية.

ح- تكتيكية: تأخير اتخاذ قرار أو إجراء إلى حين انتهاء البحث³³.

رابعا: العلاقة بين البحوث الأدبية واللغوية والبحوث الاجتماعية:

أخذ كثيرون من دارسي الأدب الغربيين منذ القرن الماضي يصلون بين دراساتهم والدراسات الاجتماعية، إذ الأدب في حقيقته إنما هو تعبير عن المجتمع وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد ومبادئ وأوضاع وأفكار، فالأديب ينشأ في هذا المجتمع ويصدر عنه، يصدر عن كل ما رأى فيه وأحس وسمع، ناسجا مادته من مسموعاته وإحساساته ومرئياته، وليس بصحيح أن بين الأدباء من يستطيعون الانعزال عن مجتمعهم، إذ دائما تصلهم بعض علائق كعلائق ذوي الرحم، علائق منبثة في كل ما ينظمون وكل ما يكتبون، وهل يوجد شاعر أو كاتب إلا وهو يحاول أن يخاطب أفراد مجتمعه، يخاطبهم بما يحسون ويشعرون، ومعنى ذلك أن الأديب يعكس مشاعر مجتمعه وبواعثه ونوازعه من جهة، ويندع أدبه وينشره بين أفراد من جهة ثانية³⁴.

وهذا ما يدل بوضوح على أن صلة الأدب بالمجتمع صلة وثيقة، إذ لا يوجد أدب بدون مجتمع ينبثق عنه، ولنرجع إلى الورا، لنرجع إلى أعتق صورة للشعر، وهي صورة الشعر القصصي عند اليونان، صورة الإلياذة، فسنجدها لا تتغنى بعواطف فردية، وإنما تتغنى بعواطف الجماعة اليونانية لعصرها مصورة حروبها بطراودة³⁵، وهي حرب نشبت بين اليونانيين والطوراوديين مدة عشر سنوات³⁶، وقد اختلف المؤرخون في اسم صاحب الإلياذة ولكنهم اتفقوا على أنها ل(هوميروس)³⁷.

وتلا هذا الشعر القصصي عند اليونان الشعر الغنائي، وقد فصل بدوره من عباداتهم لآلهتهم وطقوسهم فيها وشعائرتهم وحفلات جماعاتهم في أعيادهم، فهو شعر جماعي نشأ في أحضان الجماعة واحتفالاتها الدينية، وهذا نفسه يلاحظ في شعرهم التمثيلي، فقد كان نظامهم الاجتماعي يقضى أن يحتفلوا في كل عام بإله من آلهتهم، وأخذ شعراؤهم خلال هذه الاحتفالات يعرضون على الجماهير في ملاعب التمثيل طائفة من المسرحيات تصور بعض أساطيرهم وما كان يعيش فيه مجتمعهم من شئون الفكر والدين والثقافة³⁸.

وإذا رجعنا إلى الشعر العربي في عصوره القديمة نلاحظ أنه نشأ متدرجا من أناشيد وتراتيل دينية، أو قيل إنه فصل عنها كما تفصل الثمرة من غصنها، يدل على ذلك ما حكاه القرآن عن العرب من وصلهم بين الشعر والسحر وتعاويد الكهنة كمثل الآية الكريمة: (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين)، ومثل (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)، ومثل (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون)، وكأنما كانوا لا يزالون في أواخر العصر الجاهلي يشعرون بالصلة الوثقى بين الكهانة والسحر والشعر.

وكانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الشياطين هي التي تلهم الشعراء ما يجري على ألسنتهم من الأشعار، وسموا شياطين بعض شعرائهم مثل (مسجل) شيطان الأعشى. وفي ذلك ما يدل على أن الشعر العربي نشأ من خلال حياة الجماعات العربية الأولى وطقوسها الدينية، وما اتصل بها من كهانة وسحر وصلات -زعموها- بالشياطين ومن تراتيل كانوا يرتلونهم للآلهة ملتسمين منها النصر لأبطالهم والضرر بأعدائهم والغفران لمن يقضون نحيم³⁹.

وبوحي من فكرة (أرسطو) في التطهير (بمعنى أن الشعر لا يجعل الناس عاطفيين ولا يشيع فيهم انهياراً في الأخلاق أو أخلاقاً شائنة، بل على العكس ينقي عواطفهم ويخلصها من أدرانها ومن كل خور وضعف) مضى (هوراس) يزعم أن الشعر يثقف الناس ويمتعمهم، وظلت فكرتا الثقافة والامتاع عالقتين بأذهان النقاد في عصر النهضة وأوائل العصر الحديث، وحتى في القرن التاسع عشر وجد أن النقاد ومؤرخي الأدب الفرنسيين يبحثون مباحث واسعة في صلة الأدب بالمجتمع وعلاقته بكل ما يجري فيه من أعمال جمعية وشعبية، وأخذت تنمو في أثناء ذلك الدراسات الاجتماعية وينمو معها درس العلاقات في المجتمع وما ينعكس فيها من طبقات ومن حرف وصناعات وطرق إنتاج وظواهر سلوكية واجتماعية، وكل ذلك أخذ طريقه إلى دراسة الأدب، فأخذت تدرس فيه المادة الاجتماعية التي يعبر عنها وما يتصل بها من عناصر المجتمع وما يكون قد نشأ بين تلك العناصر من صراع، وكذلك علل الصراع وبواعثه العميقة المتشابكة وخاصة من حيث الإنتاج ومشاكله، ويتغلغل نفر فيما وراء الحياة المعاصرة محاولين استكشاف الموروث العتيق في الشعب، وهم الذين يعنون بدراسة الفلكلور الأدبي حتى يتبينوا جذوره الاجتماعية الراسخة⁴⁰.

من جهة أخرى نلاحظ أن من يدرسون الأدب دراسة اجتماعية لا يريدون أن يتبينوا فيه انعكاسات المجتمع فحسب، إنما يريدون أن يتبينوا ما في بيئة الأديب من ظواهر اجتماعية ومدى تأثيرها في أدبه محاولين النفوذ إلى معرفة طبقة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها وما عاش فيه من أوضاع اقتصادية ومدى استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في آثاره⁴¹.

أما علاقة الدراسات والبحوث اللغوية بالبحوث الاجتماعية فتمثلت في أن اللغة تؤدي الدور الأساسي في الاتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهي الوسيلة الرئيسية في خلق الحضارات وبناء المجتمعات الإنسانية، وهي التي ميزت الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، وقد ظلت اللغة فيما مضى قروناً عدة وهي قانعة بمجال محدود في البحث العلمي، لا تكاد تجاوزه أو تتعداه، حتى تنهت الأذهان أخيراً إلى ما تضمنته الكلمات من دلالات، وبدأ الدارسون يرون في تلك الدلالات الغاية والهدف من كل لغة، وأن اللغة في حقيقتها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنساني، تربط بين الأفراد، وتربط بين الجماعات، وتربط بين الشعوب، وهنا نشأت (المدرسة اللغوية الاجتماعية) في أوائل القرن العشرين، وأخذ اللغوي الحديث يدرس اللغة في ضوء الحياة الاجتماعية، وظهر له بوضوح دور اللغة في تشكيل المجتمع وتنظيمه⁴².

فاللغة تعد ظاهرة غير مادية، أي أن دراسة بنيتها يتوقف على ملاحظة آلاف الجزئيات المكونة للنظام اللغوي، ثم تسجيلها، ثم تصنيفها، ثم إدراك العلاقة الكامنة بين هذه الجزئيات، وكان ذلك أيضاً من أثر (دي سوسير) الذي رأى أن هذا النظام أو النسق يمثل كيانا مستقلاً من العلاقات الداخلية، التي يتوقف بعضها على

بعض، وتحليل هذا الكيان يسمح لنا باكتشاف عناصر تربط بينها علاقات التبادل والتقابل، وهي أيضا ظاهرة اجتماعية ضمن غيرها، وهو مبدأ قرره (دور كايم)، ونقله (دي سوسير) إلى نظريته اللغوية، وذلك من خلال مقابلة اللغة والكلام بوجودين خاصين لدى (دور كايم) هما الجماعة والفرد⁴³، كذلك قاد اهتمام (دور كايم) بمشكلة (قضية) الاتحاد الاجتماعي من مجال بناء البنية الاجتماعية إلى البحث عن صيغ الوعي الجمعي التي تحافظ عليها هذه البناءات، فعلى الرغم من أن معظم اهتمامه يتركز أساسا على قضية التلاحم الأخلاقي في مقابل الانحلال فهو لم يفشل في رؤية أهمية اللغة في تثبيت عمليات الوعي الجمعي⁴⁴.

وبذلك تنبه اللغويون إلى مثل هذه البحوث بعد أن رأوا الدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها (إميل دور كايم) في أوائل القرن العشرين، وانضم إليها كثير من علماء اللغة في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وسويسرا والدنمارك وكثير من أساتذة الجامعات في أوروبا وأمريكا، ومن العلماء من لم ينضم انضماما إيجابيا إلى هذه المدرسة، غير أنهم تأثروا بعقلية (دور كايم)، وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساسا للبحوث اللغوية في كثير من الأحيان، إذ طبقت نظريات (علم الاجتماع العام)، على اللغة، وحاول الباحثون أن يبينوا لنا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة على الظواهر اللغوية، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي أولا وقبل كل شيء، ولذلك كانت اللغة كائنا حيا كالإنسان سواء بسواء، لأنها ألصق الظواهر الاجتماعية به.

وقد نتج عن تلك الصلة بين اللغة والمجتمع ظهور ما يسمى ب(علم اللغة الاجتماعي)⁴⁵ ومسميات اصطلاحية مختلفة منها (اللسانيات الاجتماعية) أو (علم الاجتماع اللغوي) أو (علم اللغة الاجتماعي) أو (السوسيولسانيات) كلها مسميات لذلك العلم الذي يدرس اللغة في ضوء علم الاجتماع أو يربط بين الملفوظ اللغوي بسياقه التواصل الاجتماعي والطبقي، وهو حقل من حقول علم اللغة مهمته دراسة التنوعات والاختلافات في لغة واحدة أو أكثر، وهو يسعى إلى فهم اللغة كما هي موجودة بالفعل، أي دراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمعات التي تكون فيها، فهي تحاول الإجابة على السؤال: (من يتحدث؟ ماذا؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا؟)⁴⁶.

ويعرف علم اللغة الاجتماعي بأنه دراسة اللغة خلال علاقتها بالمجتمع⁴⁷، كما يعرفه (فيشمان) بأنه علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني - استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك - ويرى (لابوف) أن الهدف من علم اللغة الاجتماعي هو فهم بنية وتطور اللغة ودورها في السياق الاجتماعي الذي شكله المجتمع اللغوي، ولا توجد دراسة للغة ما دمنا لا نأخذ بعين الاعتبار دراسة البيئة الاجتماعية للأشخاص المتحدثين بها، (فلايوف) يحاول ربط طرق الكلام مع المتغيرات الاجتماعية أي ربط كل متغير لغوي مع سبب خارج عن اللغة linguistics والمتمثلة في (الطبقة الاجتماعية، الجنس، السن، الموطن، العرق، مواقف المتحدثين، ظروف الاتصال) أو ربط كل مجموعة من المتغيرات اللغوية إلى واحد أو أكثر من المتغيرات الاجتماعية⁴⁸.

كذلك لاحظ اللغويون أن (بودوان) قد أنجز في هذا المجال أعمالا تمهيدية مهمة، فقد بحث التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات، حيث وفرت له محطات حياته الفرصة، فقد قابل هو نفسه بوصفه بولنديا في الإمبراطورية الروسية في (كازان) مثلا قوميات هندوأوروبية وتركية وفلندية -أوغرية- كانت

لغة التعليم في هذه الجامعة في أقصى شرق روسيا بمرسوم هي الروسية، وفي تارتو / دوريت / يورثيف عاش إلى جانب الأستين/ الألمان والروس أيضا، وفي كاركو نمساويون وبولنديون وأكرانيون ويهود وغيرهم، لم يبق الإنساني (بودوان دي كورتيني) ذلك مطلقا بعيدا عن دراساته اللغوية، وقد حارب أيضا بالنشر ضد المغالاة في الوطنية، والاضطهاد القومي واللغوي (قارن حول ذلك أيضا كالفيه 1978 و جلوك 1986)⁴⁹، وكانت دراسات (بودوان) اللهجية أيضا دافعا ومادة أساسية أيضا لبحوثه في التنميط بمفهوم (اللغات الخليط) (قارن 2-2-3)، فقد صارت بذلك عبر توثيق محض للموقف اللغوي في منطقة جغرافية أساس بناء النظرية أيضا⁵⁰.

ومنه يمكن ذكر أهم الموضوعات التي اهتم بها علم اللغة الاجتماعي حسب ما أشار إليها العلماء والباحثون، وهي:

تأثير التركيب الاجتماعي للأسرة في اكتساب الأطفال للغة- تطور اللغة عند الطفل ومراحل اكتسابها- السن التي يدرك فيها الأطفال الدلالة الاجتماعية لمختلف الصيغ الكلامية- استعمال اللغة لدى الأفراد وصلته بالمكانة أو المنزلة الاجتماعية- دور اللغة في سيطرة أحد الأفراد على المجموعة- الغزو اللغوي الذي يتمثل في تبني أحد الشعوب للغة ما وترك لغته الأم، وصلة ذلك بالظروف الاجتماعية- دور العوامل الاجتماعية في التغيير الصوتي والصرفي والنحوي، والدلالي الذي يصيب اللغة- بيان الجانب الاجتماعي في لغة المحادثة والاهتمام بما يدور حين يلتقي شخصان لكل منهما لغة تختلف عن الأخرى- النتائج الاجتماعية المترتبة على الأحكام المتصلة بالصحيح نحويا وغير الصحيح نحويا- تغيير نطق بعض الكلمات عند البنات دون الأولاد، أو العكس، واتصاله بالجانب الاجتماعي- تعدد اللهجات داخل المجتمع الواحد، ووجود ما يسمى به اللغات الخاصة وإيضاح طبيعة كل لغة والخصائص التي تحددها- دور اللغة في تعزيز هوية الجماعة- التواصل اللغوي بين الشعوب أو الجماعات التي لها لغات مختلفة، وما يعتري هذا التواصل من مشكلات- اللغة والمجتمع والتواصل الحضاري- علاقة اللغة بالثقافة، ودور اللغة في البناء الثقافي، وأثر الثقافة في البناء اللغوي- المعايير أو العوامل التي تتحكم في اختيار أحد الشعوب المستعمرة لغة أو لغات وطنية- أثر التشابه اللغوي في إذكاء روح الوطنية⁵¹.

قائمة للمصادر والمراجع

- بريجيتته بارتشت، مناهج علم اللغة (من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
- توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 1995.
- توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، النادي الأدبي الثقافي، (د.م.ن)، 1987.
- ثائر أحمد غباري، يوسف عبد القادر أبو شدي، خالد محمد أبو شعيرة، البحث النوعي في التربية وعلم النفس، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- زينب الأشوح، صدق وأساليب البحث العلمي وأهم ركائزه، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2014.
- سمير سامي شحاته، البحث الاجتماعي (دليل الباحث الأمين لحالات الفقراء والمساكين)، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2008.
- سوتيربوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة: شحده فارع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017.
- السيد محمد الديب، مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2000.
- شوقي ضيف، البحث الأدبي (طبيعته- مناهجه- أصوله- مصادره)، دار المعارف، القاهرة، ط7، (د.س.ن).
- عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية (أسسه، أساليبه، مفاهيمه، أدواته)، دار المسيرة للنشر، الأردن، 2017.
- عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي (منهجيته- مراحلها- تقنياته)، منشورات جروس برس، لبنان، 2022.
- عصام حسن أحمد الدليبي، علي عبد الرحيم صالح، البحث العلمي أسسه ومناهجه، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
- محمد عبد السمیع عثمان، مناهج البحث الاجتماعي، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2000.
- محمد عبد المنعم خفاجي، البحوث الأدبية (مناهجها ومصادرها)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987.
- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، (د.د.ن)، (د.م.ن)، (د.س.ن).
- هادي نهر، البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات والمناهج، والإجراءات)، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009.
- هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- ياسر بكر، شعب من الأوز (مقدمة في علم اللغة الاجتماعي)، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2020.
- فاتن فاضل كاظم العبيدي، نبذة تاريخية عن البحث ومناهجه، يوم 2020/02/11، من:

<https://humanities.uobabylon.edu.iq/lecture.aspx?fid=10&lid=89141>

- مقال منشور على الموقع:

<https://www.hindawi.org/books/85205353/>

هوامش وإحالات المقال

- 1 هادي نهر، البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات والمناهج، والإجراءات)، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009، ص 7.
- 2 عصام حسن أحمد الدليبي، علي عبد الرحيم صالح، البحث العلم يأسسه ومناهجه، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 15.
- 3 محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، (د.د.ن)، (د.م.ن)، (د.س.ن)، ص 187.
- 4 هادي نهر، المرجع السابق، ص 7.
- 5 محمد عبد المنعم خفاجي، البحوث الأدبية (مناهجها ومصادرها)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987، ص ص 15-16.
- 6 محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 187.
- 7 سمير سامي شحاته، البحث الاجتماعي (دليل الباحث الأمين لحالات الفقراء والمساكين)، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2008، ص 8.
- 8 محمد عبد السمیع عثمان، مناهج البحث الاجتماعي، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2000، ص 9.
- 9 محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 16.
- 10 السيد محمد الديب، مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2000، ص 12. 10
- 11 المرجع نفسه، ص 19.
- 12 شوقي ضيف، الشعر والنثر، البحث الأدبي (طبيعته- مناهجه- أصوله- مصادره)، دار المعارف، القاهرة، ط7، (د.س.ن)، ص 7.
- 13 محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ص 20-21.
- 14 محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 190

- المرجع نفسه، ص 188. 15
- المرجع نفسه، ص 16.191
- 17 محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 17-18.
- 18 عامر قتيدي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية (أسسه، أساليبه، مفاهيمه، أدواته)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2010، ص 34-35.
- 19 المرجع نفسه، ص 35.
- 20 المرجع نفسه، ص 36.
- 21 المرجع نفسه، ص 37.
- 22 المرجع نفسه، ص 38.
- 23 محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 17-18.
- 24 فاتن فاضل كاظم العبيدي، نبذة تاريخية عن البحث ومناهجه، يوم 2020/02/11، من: <https://humanities.uobabylon.edu.iq/lecture.aspx?fid=10&lcid=89141>
- 25 سوتيريوس ساراتناكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017، ص 59.
- 26 عبد الغني عماد، البحث الاجتماعي (منهجيته- مراحل- تقنياته)، منشورات جروس برس، لبنان، 2022، ص 15-16.
- 27 زينب الأشوح، صدق وأساليب البحث العلمي وأهم ركائزه، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2014، ص 74.
- 28 سوتيريوس ساراتناكوس، المرجع السابق، ص 70-71.
- 29 ثائر أحمد غباري، يوسف عبد القادر أبو شدي، خالد محمد أبو شعيرة، البحث النوعي في التربية وعلم النفس، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- 30 سوتيريوس ساراتناكوس، المرجع السابق، ص 72.
- 31 المرجع نفسه، ص 72.
- 32 ثائر أحمد غباري، يوسف عبد القادر أبو شدي، خالد محمد أبو شعيرة، المرجع السابق، ص 19.
- 33 سوتيريوس ساراتناكوس، المرجع السابق، ص 73.
- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 96.34
- المرجع نفسه، ص 96.35
- مقال منشور على الموقع: <https://www.hindawi.org/books/85205353/36>
- هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 12.37
- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 97.38
- المرجع نفسه، ص 97.39
- المرجع نفسه، ص 100-101.40
- المرجع نفسه، ص 101.41
- محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 160.42
- توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 1995، ص 64.43
- توماس لوكمان، علم اجتماع اللغة، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، النادي الأدبي الثقافي، (د.م.ن)، 1987، ص 24.44
- محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 160-161.45
- ياسر بكر، شعب من الأوز (مقدمة في علم اللغة الاجتماعي)، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2020، ص 25.46
- محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 161.47
- ياسر بكر، المرجع السابق، ص 26.48
- 49 بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة (من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 76-77.
- المرجع نفسه، ص 77.50
- محمود سليمان ياقوت، المرجع السابق، ص 162-163.51